

إسرائيل والهاجس الأمني المتعاظم: ترابط الجبهات وتآكل قوة الردع

انتهت الجولة القتالية الخاطفة في غزة التي دارت بين إسرائيل وحركة الجهاد الاسلامي الى هدنة لا يمكن التكهن بمدى استمرارها، ولكنها لم تنته الى احداث اي تغيير على ارض الواقع. نجحت إسرائيل في توجيه ضربة موجعة الى الجهاد وفي اغتيال ابرز قادتها العسكريين، لكنها لم تنجح في كبح هواجسها المتزايدة بازاء تآكل قوة الردع لديها ومعادلة ترابط الجبهات ووحدة الساحات

قدرتها العسكرية والتكنولوجية، وانما ارادت اثبات امتلاكها الإرادة السياسية لتنفيذ ذلك، في مسعاها لاستعادة صورة المبادر بازاء المحيط المعادي، وتبديد صورة المنكفئ والمردوع، وفرض اجندة أمنية على جدول اهتمامات الرأي العام، بدلا مما هو قائم في ظل الانقسام الداخلي المتفاقم. وبدا ان نتباهو هو الاكثر حاجة الى خوض مغامرة عسكرية، ورفع مستوى التحدي، بهدف إعادة اللحمة داخل حكومته، وتعزيز مكانته الشعبية التي تدهورت الى مستويات غير مسبوقة.

من الواضح ان العمليات العسكرية الاسرائيلية ذات المنحى الهجومي والطابع العنيف هي الترجمة العملية للسياسات المتطرفة، وان اليمين الاسرائيلي المتطرف لا يقدم على هذه العمليات بغرض الانتقام من عمليات فلسطينية واستعادة الهيبة والردع فحسب، بل بغرض احداث انقلاب في تعامل إسرائيل مع الموضوع الفلسطيني، اذ يعتبره ناعما ويرى انه يثبت حل الدولتين، في حين ان غايته اجهاض هذا الحل. وهكذا، فان زرع الفوضى هو نهج عقائدي لدى حلفاء نتباهو يخدم هدفهم الاساس للسيطرة على الضفة الغربية وفرض السيادة الاسرائيلية عليها بالكامل. ولهذا الغرض كانوا قد تقدموا بسلسلة مطالب من نتباهو اشترطوا عليه بلورتها في الاتفاقات الائتلافية.

اسرائيل تستطيع القول انها اغتالت ستة من كبار العسكريين في قيادة الجهاد الاسلامي، وظهرت مدى قدراتها الحربية وتطور اسلحتها، وتمكنت من ضرب البنية التحتية لجهاز الجهاد العسكري بواسطة شنها 422 غارة ضد مواقع المقاومة في قطاع غزة، منها مراكز قيادة وتحكم وسيطرة ومواقع انتاج ذخيرة واسلحة وتصنيعها. كذلك تمكنت من تحييد حركة حماس، لتبقى خارج الملعب الحربي.



الامين العام للجهاد الاسلامي زياد نخالة.

نجح بنيامين نتباهو في انعاش شعبيته، لكنه لم ينجح في اخفاء وانهاء الازمة الداخلية وحالة الانقسام في المجتمع الاسرائيلي.

يعرف الجيش الاسرائيلي ان انتقادات اليمين المتطرف تلحق ضررا به وبهيئته امام الجمهور، لذلك قرر الاستجابة للضغوط والاقدم على عملية تصعيد محدودة ومحسوبة، تشفي غليل الاسرائيليين المتطرفين، ولا تتسع لعملية حربية واسعة، وتكون في الوقت ذاته مفهومة في المجتمع الدولي.

اختار الجيش، انتقاء عمليات اغتيال محددة لثلاثة من كبار القادة في سرايا القدس التنظيم العسكري لـ"الجهاد". ولأن الجهاد مثل حماس، حركة لا تخاطب الرأي العام الدولي ولا تستخدم خطابا سلميا، وتحسب في المجتمع الدولي على انها تنظيم عدائي تابع لايران، سيكون رد الفعل الدولي

”
اسرائيل عملت على تحييد
حماس والاستفزاز بالجهاد
“

معتدلا ويمكن احتمالها. كما ان استهداف قادة سرايا القدس حصرا كافي بتحييد حركة حماس عن المواجهة، وبالتالي فرض قيود ميدانية على السرايا لجهة المدى وحجم النيران والمدة الزمنية والعمق الجغرافي، ومن ثم الحؤول دون التدرج الى مواجهة كبرى.

لم تكن إسرائيل تحتاج الى اغتيال قادة عسكريين في سرايا القدس، ومدنيين ايضا، في قطاع غزة، لتثبت

وتستطيع اسرائيل ان تقول انها افشلت الخطة الايرانية باستغلال الشرخ الاسرائيلي الداخلي بسبب خطة الانقلاب القضائي والتظاهرات ضدها. وكما قال نتباهو: اتحد الاسرائيليون واثبتوا مرة اخرى انهم في مواجهة العدو يوقفون اي خلاف. وقالت المخابرات الاسرائيلية ان ايران فشلت حتى في الضغط على الجهاد لمواصلة الحرب، وفشلت في جر حماس الى المعركة.

لكن اسرائيل لم تنجح في احتواء التهديد الامني والعسكري وتبديد الهاجس المتزايد لديها بازاء تآكل قوة الردع وتدرج محتمل للاوضاع في مواجهة شاملة على قاعدة ترابط الجبهات. وفي اقرار هو الاكثر صراحة بذلك الواقع، أكد وزير الامن الاسرائيلي يوف غالانت ان اسرائيل باتت في نهاية عصر المواجهات المحدودة، وانها بهذا تدخل حقبة أمنية جديدة فيها تهديد حقيقي لها في جميع الساحات في الوقت نفسه. لقد عملنا لسنوات على افتراض انه يمكن عقد صراعات محدودة، لكن هذه ظاهرة اخذة في الاختفاء. اليوم، هناك ظاهرة ملحوظة عنوانها توحيد الساحات. ظاهرة تفرض على القيادة الاسرائيلية التي باتت تتبنى التقدير المشار اليه رسميا، تعديل خططها العسكرية ورفع مستوى الجهوز لديها، وتلافي التقدير الخاطئ، وبخاصة ان الطرف المقابل يستند الى قدرات راسخة ومتطورة ومتصاعدة،

وهو ما عبر عنه غالانت بالقول ان ايران هي القوة الدافعة، عبر توفير الموارد والايديولوجيا والمعرفة والتدريب لوكلائها، مضيفا ان الاعتماد المتزايد لجميع الانظمة على ايران يجعلها تمد الحدود امامنا وتجترأ أكثر على اسرائيل.

وفق التقديرات الاسرائيلية، قطعت ايران اشواط مهمة في خطة فرض طوق متنوع من الصواريخ والمسيرات والوسائل القتالية المتطورة حول اسرائيل، مما يحول الاخيرة من شمالها الى جنوبها الى ساحة قتال حقيقية. ونتيجة ذلك، يعيش الكيان الاسرائيلي هاجسا بأن يجد نفسه في قلب مواجهة قاسية تشمل في ان كلا من لبنان وسوريا والعراق واليمن، وصولا الى قطاع غزة والضفة الغربية، وخصوصا انه من المتوقع، والحال هذه، ان يتعرض الجبهة الداخلية لدمار باحجام لم تشهدا طوال تاريخها. وادت تلك التقديرات الى رفع منسوب المخاوف في مؤسسة القرار الاسرائيلية، من ان تتدرج اي حادثة موضعية الى مواجهة كبرى لتبدو جميع اطراف الصراع في المنطقة، في نهاية المطاف، كما لو انها تسير على حافة التصادم الكبير الذي تحرص على تجنبه، في هذه المرحلة على الاقل.

ومما يجعل الصورة اكثر قتامة بالنسبة الى اسرائيل، هو ان هذا السيناريو (اي الحرب المتعددة الجبهات)، بما يحمله من مخاطر عسكرية



المغامرة العسكرية الاسرائيلية لحماية وحدة الحكومة.

واستراتيجية، ترتفع احتمالات تحققه في الوقت الذي تجد فيه اسرائيل نفسها غارقة في اخطر ازمة داخلية في تاريخها، فيما رئيس حكومتها، بنيامين نتباهو، الذي وعد بوضع ايران على رأس سلم اولوياته، مشغول بمحاولة انقاذ نفسه من حكم المحكمة، والشعب منقسم. السعودية والامارات استأنفتا علاقاتهما مع ايران، ومصر على الطريق، والمحور الاقليمي الذي كانت اسرائيل تطمح الى بنائه يتفكك، وعلاقات ايران بالصين وروسيا تتعمق، والازمة في علاقتنا بالولايات المتحدة عميقة، ليخلص الى ان كل الاستراتيجية التي بناها نتباهو انهارت.

يبقى ان الساحة الفلسطينية - الاسرائيلية المتوترة والمتفجرة تخضع في هذه المرحلة لعاملين خارجيين: - الاول: التغيير القادم من جهة ايران التي زادت ثقفتها بنفسها بعد اتفاقها مع السعودية، والتي تعتبر ان اسرائيل تمر في حال ضعف وصار سهلا المساس بها والنيل منها، وذلك استنادا الى الازمة الداخلية والتظاهرات الاسبوعية احتجاجا على الخطط الانقلابية في القضاء، والتوترات والصدامات شبه اليومية مع الفلسطينيين، والبرودة مع دول التطبيع، والخلافات مع الادارة الامريكية.

افادت ايران من الاوضاع الناشئة بعد تشكيل حكومة يمينية متطرفة في اسرائيل، وقامت برفع درجة تدخلها ومستواه على الساحة الفلسطينية، واستحداث استراتيجيا ترابط الجبهات لتطويق اسرائيل بالنار من كل الجهات، مما يؤدي الى تفاقم احتمالات الانجرار الى حرب ووقوع انفجار شامل. - الثاني: التراجع الاميركي في الشرق الاوسط، وتراجع اهتمام واشنطن بما يحدث في المنطقة، في ظل اولوية مطلقة معطاة للحرب الروسية على اوكرانيا، وللحرب الاقتصادية مع الصين، وحيث لا يمكن للاميركيين ان يحاربوا عسكريا على جبهتين وان يمدوا جبهتين بالسلح والذخيرة وقيموا جسرا جويا جديدا مع اسرائيل في حالة الحرب. يضاف الى ذلك ان الاميركيين قلقون من امكانية ان تتصرف اسرائيل بعدم مسؤولية وتهور، او تستدرج الى تبادل ضربات ومواجهات عسكرية مع ايران. كما انهم متوجسون من انفلات الامور وخروجها عن السيطرة واتساع رقعة الحرب، وانعكاس كل ذلك على اسواق الطاقة واسعارها، لذلك يضغظون على اسرائيل لضبط النفس والهدوء.